

ظروف ظهور الصحافة العربية الإصلاحية الجزائرية

في الفترة الممتدة بين (1847 م - 1954 م)

Circumstances of the emergence of the Algerian reformist Arab press
During the period between (1847 AD - 1954 AD)نسرين بوغرة¹

طالبة دكتوراه جامعة الأمير للعلوم الإسلامية - قسنطينة-

bougherranesrine@gmail.com

أ.د. عيسى بوغافية

جامعة الأمير للعلوم الإسلامية - قسنطينة-

Aissa_5@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2022/12/06 القبول 2022/12/11 النشر علي الخط 2023/03/15

Received 06/12/2022 Accepted 11/12/2022 Published online 15/03/2023

ملخص:

تتضمن هذه الورقة البحثية ؛ ظروف ظهور الصحافة العربية في الجزائر، في الفترة الممتدة بين 1847م إلى 1954م، والتي كانت انعكاسا للسياسية الاستعمارية الاستيطانية التغريبية التنصيرية الفرنسية، التي حاولت القضاء على الهوية العربية الجزائرية الإسلامية، حيث كان ظهور الصحافة العربية الإصلاحية الجزائرية نقطة تحول في تاريخ الجزائر المعاصر، لما أداه ذلك النوع من الصحافة من دور كبير في إيقاظ الوعي الجزائري وإصلاحه، بعدما كان يعيش واقعا مزريا، يغلب عليه الفقر والجهل والامية والاستسلام للأمر الواقع للاستعمار والمولين له، وقد مثلت تلك الصحافة مقاومة سلمية ثقافية جزائرية باحترافية عالية.

الكلمات المفتاحية: الصحافة العربية، الصحافة الإصلاحية، تاريخ الجزائر المعاصر، الاستعمار، السياسة الاستيطانية .

Abstract:

This research paper includes; The circumstances of the emergence of the Arab press in Algeria, in the period between 1847 AD to 1954 AD, which was a reflection of the colonial, Westernization, Christianization colonial policy of France, which tried to eliminate the Arab-Algerian-Islamic identity, as the emergence of the Algerian reformist Arab press was a turning point in the contemporary history of Algeria, for what it performed This type of journalism played a major role in awakening and reforming Algerian consciousness, after it was living in a miserable reality, dominated by poverty, ignorance, illiteracy, and surrender to the fait accompli to colonialism and its loyalists. This journalism represented a peaceful, cultural Algerian resistance with high professionalism.

keywords: Arab press, reformist press, contemporary history of Algeria, colonialism, settlement policy.

البريد الإلكتروني: bougherranesrine@gmail.com

¹ - المؤلف المراسل: نسرين بوغرة

الإشكالية:

عاشت الجزائر خلال أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ويلات الاستعمار الفرنسي، الذي اشتدت هجماته على الجزائريين بطريقة شرسة؛ عندما بدأ الوعي ينتشر في صفوف بعض النخب المثقفة الجزائرية، بسبب انتعاش وانتشار الصحافة العربية. ورغم الظروف التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك، إلا أن عديد العلماء والمفكرين الجزائريين؛ تصدوا لمظاهر ظلم واستبداد المستعمر، من خلال اقتحام المجال الإعلامي، وخاصة الصحافة المكتوبة، لا سيما في فترة ما بين الحربين العالميتين حيث أدرك هؤلاء النخب ضرورة إصلاح الأوضاع المزرية التي آل إليها الشعب الجزائري من انتشار للأمية والجهل والفقر، والجمود الفكري، وانتشار الآفات الاجتماعية، وسيادة ثقافة الاستسلام للأمر الواقع، واعتبار الاستعمار واقعا لا بد من التكيف معه، والتي بثها بعض الدراويش وأتباع الطريقة المنحرفة، حيث عملت هذه الأفكار على تخدير الشعب الجزائري وإذعانه للأمر الواقع .

لقد أدرك هؤلاء النخبة ما للصحافة من أهمية في مواجهة العدو، والمطالبة بحقوق الشعب المسلموبة، ودعوته إلى النهوض وتوجيهه إلى جادة الحق والصواب، والرد على تلك الحملات الاستعمارية التي كادت أن تقضي على معالم الهوية الوطنية الجزائرية العربية الإسلامية، من أجل هذا ارتأينا طرح الإشكالية الآتية: ما هي ظروف ظهور الصحافة العربية الإصلاحية الجزائرية خلال الفترة الممتدة بين (1847-1954م)؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية كالتالي:

- ما هي الظروف السياسية لظهور الصحافة العربية الإصلاحية خلال الفترة الممتدة بين (1847 - 1954)؟
- ماهي الظروف الاجتماعية لظهور الصحافة العربية الإصلاحية الجزائرية خلال الفترة بين (1847- 1954)؟
- ما هي الظروف الدينية والثقافية لظهور الصحافة العربية الإصلاحية الجزائرية خلال الفترة بين (1847-1954)؟

أولا: الظروف السياسية:

إن المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر انتهج في تعامله مع الجزائريين سياسات وحشية وأخضعه لقوانين تعسفية بهدف تكريس وجوده، وتبعية أرض الجزائر لفرنسا ولحو الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية بحيث أقام سياسته الدامية على قواعد وقوانين كثيرة سنتطرق إليها في النقاط الآتية:

1-القوانين:

اتبعت فرنسا أو الإدارة الاستعمارية جملة من القوانين الزجرية في حق الشعب الجزائري بهدف تحقيق مشاريعها الاستيطانية التغريبية التنصيرية، من بينها:

أ-قانون الأهالي: من أخطر القوانين والسياسات الاستعمارية التي طبقها الاستعمار أو الإدارة الفرنسية على الجزائريين قانون الأنديجينا حيث خص الجزائريون بقانون الأنديجينا أو قانون الأهالي، الذي يعتبر قانونا عنصريا مقيتا وقد شُرع هذا القانون على مراحل من سنة 1871 حتى سنة 1881 واستمر مطبقا مدة نصف قرن، وخلاصته: معاقبة كل من قام بدون رخصة: بالسكن خارج الدوار، أو مغادرة الدوار، أو الاجتماع لأغراض دينية أو بالتسول، أو بإهانة موظف السلطة، أو بعدم تلبية الاستدعاء ولو كان شفويا، أو بعدم المشاركة في أعمال السخرة التي تقررها السلطة، وأخطر ما تضمنه هذا القانون هو المسؤولية الجماعية فأى

جنحة أو جريمة يرتكبها فرد تتحمل قبيلته كلها المسؤولية⁽¹⁾

واستكمل تنظيمه مع حلول سنة 1881م فبلغ عدد الجنح الخاضعة للقانون العام في إطار القانون الاستثنائي (الأهلي) واحدا وأربعين جنحة وأصبحت أساس التعامل مع الجزائريين مع حلول عام 1997 ومع مستهل القرن العشرين تدعم بأحداث المحاكم الرادعة (1902) واتخذت شكل إجراءات الردع بمنشور الوالي العام جوناو سنة (1906)⁽²⁾.

لقد طبقت الإدارة الاستعمارية سياسة الأجر والإرهاب ضد الأهالي وبالغت في قسوتها وتجاوزت كل حدود المنطق والمعقول، فأصدرت 28 جوان 1881 ما عرف بقوانين الاهالي أو الأندجينييا Les codes de l'indignat وهي عبارة عن سلسلة من العقوبات الزجرية لا صلة بالقانون العام، حدد هذا القانون 41 مخالفة خاصة بالأهالي في نفس العام وخفضت إلى 21 مخالفة عام 1891، واستكملت شكلها النهائي في ديسمبر 1897 واستمرت الإدارة الفرنسية في تطويرها وتحديثها حسب الظروف والأحوال حتى تم إلغاؤها نظريا عام 1830، ولكن العمل بها أستمّر حتى قيام ثورة أول نوفمبر 1954⁽³⁾.

ب- مرسوم جوناو 1906: صدر أثر ثورة عين بسام (1906) من الحاكم العام جوناو وأرسله إلى الولايات الثلاث أمر مهم فيه بإغلاق مقامي الجزائريين الشيوهين وسحب رخص السلاح، وسجن أي جزائري مشكوك فيه⁽⁴⁾.

ج- التجنيد الإجباري: يعتبر مطلع القرن بداية القرن 20 بداية الاستقلال السلطات الاستعمارية الجزائر، إداريا، وماليا، عن فرنسا، فأخذت تمارس بقسوة سياسة القهر والزجر ضد الأهالي، ولا تلاحقهم في كل مجالات الحياة وتغلق عليهم كل الأبواب والسبل إلى الحياة الأفضل، وعندما بدأت بوادر الحرب العالمية الأولى في الأفق ضغط المستوطنون الأوروبيون على فرنسا حتى أصدرت قرار فرض التجنيد الإجباري على الشبان الأهالي عام 1912 زاعمة أنها تحقق المساواة بينهم وبين الأوروبيين ولكن في الواجبات فقط دون الحقوق، وحتى تغطي أهدافها وتقنع الأهالي بحسن نيتها⁽⁵⁾.

عددا من القوانين والتشريعات فيما بين 1908 و1914 لتخفيف تعسف القوانين الزجرية عليهم ومنها:

-إعفاء المجندين الجزائريين من تطبيق الإندجينييا الزجرية عليهم.

-إلغاء رخصة التنقل داخل الجزائر ومع فرنسا.

-إلغاء كثير من المخالفات التي تستلزم دفع الغرامات.

-إحالة باقي المخالفات الأخرى على قضاة الصلح بدلا من السلطات الإدارية وغيرها (بوعزيز، 2007، صفحة 44).

د- قانون سنتاوس كنسليت 14 يوليو 1865: الذي أتاح للجزائريين نظريا الجنسية الفرنسية بشروط أهمها الانسلاخ من قانون الأحوال الشخصية الذي لا يكون المسلم مسلما إلا به، وقد أصبح عددهم خلال سنة 1948 نحو 10,000 فرد⁽⁶⁾.

(1) _ عثمان سعدي. (الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954. الجزائر: دار الأمة، 2011، ص602.

(2) _ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000، ص30.

(3) _ يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2007، ص38.

(4) _ ناصر الدين سعيدوني. الجزائر منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص87.

(5) _ يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954. ، مرجع سابق، ص84.

(6) _ رابح لونييسي. تاريخ الجزائر 1820-1989م. الجزائر، ج1: دار المعرفة، 2010، ص82.

هـ- مرسوم كريميو 24 أكتوبر 1870: الذي نص على تجنيس جماعي لليهود الجزائري البالغ عددهم آنذاك 34.574 يهودي بالجنسية الفرنسية، ما أعلى من شأنهم وميزهم عن المسلمين من جميع النواحي القانونية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية⁽¹⁾.
و-مرسوم إنشاء المحاكم الجزيرية 1902: صدر في 29 مارس و 28 ماي 1902 في أعقاب ثورة عين التركي (1901) وأعطى تلك المحاكم التي بلغ عددها 195 محكمة سلطات خاصة منها محاكمة الجزائريين دون حضور محامين، وعدم استئناف أحكامها⁽²⁾.

2-فرض الضرائب: تعد الضرائب من أخطر المشاكل التي واجهت الجزائريين إبان فترة الاحتلال الفرنسي، ذلك لأن الشعب الجزائري خضع لتشريع ضرائبي خاص دون أن يكون له مقابل يستفيد منه، وكان الأهالي الجزائريون يدفعون الضرائب الفرنسية إضافة إلى مجموعة أخرى سميت بالضرائب العربية، وهي تشمل ضرائب على الأرض والإنتاج وعلى الثروات الحيوانية والمساكن وأخرى على الأفراد، وقد بلغ متوسط ما يدفعه الجزائري من الضرائب العربية سنة 1860 حوالي 12 فرنك سنويا في حين لم يكن ذلك المتوسط يزيد عن فرنك في أيام دولة الأمير عبد القادر، وكانت الضرائب العربية في بداية الاحتلال تدفع بشكل عشوائي، ثم قسمت إلى أربعة أنواع وهي الضريبة على الأرض (العشور، الحكر) والضريبة على الماشية (الزكاة) وضريبة الرأس (خاصة بمنطقة زواوة) وضريبة اللازمة (خاصة بالمناطق الصحراوية)، وهذا بالإضافة إلى الضرائب المفروضة على القبائل والأفراد تحت رعاية المكاتب العربية⁽³⁾.

3-سياسة الاستيطان: عملت السلطات الاستعمارية على إغراء المستعمرين الأوروبيين للهجرة إلى الجزائر وأغرقتهم بمختلف الوسائل فأخذت تهجر على نقلها الأوروبيين من فرنسا وأوروبا إلى الجزائر وتقدم لهم الأراضي والمعونات المادية والفنية حتى يستطيعوا أن يتأقلموا بطبيعة البلاد، لقد صنعت لذلك خطط بحيث هجرت حوالي مائتي ألف أوروبي إلى الجزائر في ظرف 10 سنوات في عهد الجمهورية الفرنسية الثانية 1848-1852 خاصة المشاغبين وذوي السوابق⁽⁴⁾.

وفي عهد الإمبراطور نابليون الثالث 1852-1870 كذلك تم تشجيع حركة الاستيطان الأوروبي وبين حوالي 56 قرية استيطانية خلال أعوام 1853 و 1859 واستعمل الجنرال بيحوا أسلوب مصادرة وأملاك الأهالي⁽⁵⁾.

وفي 24 أكتوبر 1870 صدر قرار تجنيس اليهود الجامعي لتكثير العنصر الأوروبي، وكان عددهم حوالي 38 ألف شخص وبذل كريميو اليهودي جهودا كبيرة لتحقيق هذا المشروع وقد شعر الأهالي بالأخطار المحدقة، وأحسنوا بما ينتظرهم من المعاناة والإذلال من طرف هذه الجالية الأوروبية الحاكمة.

ونشطت حركة الاستيطان الأوروبي في الجزائر نشاطا واسعا ومكثفا ابتداء من عامي 1870 و1871⁽⁶⁾.

وقد ارتفع عدد المستوطنين الأوروبيين في الأرياف الجزائرية عام 1871 عن 119 ألف شخص عام 1871 إلى 200 ألف عام

(1) _ المرجع نفسه، ص 83.

(2) _ رابح لونيبي. تاريخ الجزائر 1820-1989م. المرجع السابق، ص 86.

(3) _ عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954). ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2014، ص 110.

(4) _ يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954. مرجع سابق، ص 13.

(5) _ المرجع نفسه، ص 15.

(6) _ المرجع نفسه، ص 31.

1900 م كان من بينهم إسبان ومالطيون وإيطاليون.

وفي مطلع القرن العشرين تواصلت عملية الاستيطان الحر والرسمي وما بين عامي 1901 إلى 1914.

وقد بلغ عدد القرى الاستيطانية التي أسستها الجمهورية الرابعة 400 قرية استيطانية ما بين 1870 إلى 1930⁽¹⁾.

ومن نتائج سياسة الاستيطان على الأهالي ما يلي:

كان لسياسة الاستيطان الأوروبي بالجزائر آثار سيئة وخيمة العواقب في ميادين مختلفة على الجزائريين فقد تم تخطيط العائلات الجزائرية الكبرى التي كانت تمثل القيادات للمجتمع الجزائري، روحيا وماديا، بل وحتى إداريا، واجتماعيا وسياسيا ومزق المجتمع الجزائري شر تمزق وشرذ وأفقر، وتم تخطيط ما دعي بالبرجوازية الجزائرية في المدن الكبرى وكانت تتألف من التجار، والحرفيين والقضاة والمتقنين، فشرذوا كذلك وراسموا في أعماقهم وأنشطتهم المختلفة من طرف الجالية الأوروبية التي كانت تتصف بالشراهة في ميدان الاقتصاد والغلظة والقسوة في ميدان السياسة والإدارة⁽²⁾.

ثانيا: الظروف الاجتماعية:

إن الأوضاع الكارثية والمزرية التي آلت إليها الجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي ما هي إلا انعكاس للسياسة الوحشية الفرنسية التي طبقتها في أرض الجزائر العربية المسلمة.

ولا يمكننا أن نتطرق لدراسة ظروف نشأة الصحافة العربية الجزائرية بمعزل عن الأوضاع التي عاشها الشعب الجزائري آنذاك وتعرفنا على وقع الاحتلال الغاشم على الجزائر ومشروعه الاستيطاني التغريبي التنصيري فيها بغية تكريس تبعية الجزائر لفرنسا، وتفكيك بنية المجتمع الجزائري، وإذعانه للأمر الواقع.

لقد عاش الشعب الجزائري أوضاع اجتماعية مزرية منذ 1830 وطوال فترة الاحتلال الفرنسي، وتتلخص هذه الأوضاع في النقاط الآتية:

منذ أن غزا الفرنسيون الجزائر أخذوا يطمسون معالمها العربية الإسلامية الشرقية ويحلون المعالم الفرنسية بدلها، وقد شمل ذلك كل المدن بدون استثناء ولكن بدرجات متفاوتة، وقد شرعوا في ذلك من الوهلة الأولى مما يدل على عزمهم على البقاء والاحتلال الدائم خلافا لم يزعم أنهم كانوا مترددين في البقاء والاحتلال الدائم خلافا لم يزعم أنهم كانوا مترددين في البقاء وعدمه، وشمل الطمس تغيير الشوارع وأسمائها وتهدم المنازل والأسواق القديمة وإحداث الساحات مكائحا وتحويل الدور والفيالات والقصور إلى مؤسسات عمومية للجيش والمستشفيات ونحو ذلك وقد بيعت دكاكين وأضرحة وغيرها للأوروبيين ليتاجر فيها، كما جرى تحويل المساجد إلى كنائس ومخازن ومستشفيات، وتهدم بعضها نهائيا دون استبدالها بأخرى، ونفس الموقف كان المدارس والكتاب والزوايا وقد ساعد نفى المواطنين وهجرتهم على ذلك، حدث ذلك للأحياء العربية قبل إنشاء الأحياء الأوروبية في المدن الجزائرية⁽³⁾.

1- الاستيلاء على أملاك الجزائريين: لقد سيطر الاستعمار الفرنسي على أملاك الجزائريين في محاولة منه بما استيطانها، حيث

(1) _ المرجع نفسه، ص 33.

(2) _ المرجع نفسه، ص 36.

(3) _ سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962، دار الغرب الجزائري، ط 1، 2007، ص 72.

كانت مدينة الجزائر تضم عند الغزو أملاكاً متنوعة وكثيرة كان بعضها للدولة وبعضها للأوقاف، وبعضها للأفراد، ومنذ الغزو لم ينتظر نتائج حملتهم لتقرير مصير هذه الأملاك بل أخذوا يتصرفون في كما لو كانت ملكاً لهم وطبقوا لقوانينهم والواقع أن هناك هدفين من مصادرة الأملاك على ذلك النحو الأول سياسي والثاني اقتصادي، وهما متصلان فأما الأول فهو بقاء المسلمين على أملاكهم وخصوصاً أملاك الأوقاف التي هي مقدسة عند الجميع، فتأميم الأملاك يسهل عملية نقل الملكية ويفقد المسلمين مصدر ثروتهم الاقتصادية (والعلمية) وقوتهم السياسية، ويحقق هدف الاستعمار.

إن قرارات الاستيلاء على الأملاك بكل أنواعها قد استمرت في الظهور بين 1830-1837، وازدادت تضييقاً وجوراً أيضاً في قرارات 1839، 1842، 1848، وكان الهدف كما منها تفجير الجزائريين وإجبارهم على الهجرة وترويضهم سياسياً عن طريق الاقتصاد، والحصول على الأملاك للأوربيين (منحة وبيعا) الواردين على الجزائر بقصد الاستيطان والاستعمار، ولم تكن تلك القرارات مقتصرة على الأملاك في مدينة الجزائر بل شملت كل المدن التي وقعت بالتدرج في قبضة الاحتلال الفرنسي⁽¹⁾.

ومن بين أدوات القهر التي استخدمتها إدارة الاحتلال لنصب ممتلكات الناس وتفجيرهم وإدلالهم، تأتي مسألة الضرائب كأداة فعالة استخدمت لهته الغاية، فمنذ غزو البلاد أخضع الجزائريون إلى نوعين من الضرائب: الضرائب التقليدية التي كانت تجبي في مختلف مناطق البلاد قبل عام 1830 والتي ألحق بها عام 1871م عدة ضرائب تكميلية يطلق عليها اسم (السننيمات الإضافية) والضرائب الجديدة التي فرضتها فرنسا، يضاف إلى ذلك الضرائب الغير المباشرة التي كانت تفرض على السلع والخدمات، وبذلك أصبح الفرد الجزائري يخضع لنظام ضريبي فريد من نوعه⁽²⁾.

2- الهجرة: كانت هجرة الجزائريين إلى المدن داخل الوطن وخارجه نتيجة حتمية للنظام الاستعماري المستبد والمضطهد وقد تعددت الأسباب لهجرة الجزائريين ونحصرها فيما يلي:

فكان أولها انعدام الحرية فمادام كان القانون يعتبر الجزائريين رعايا، فإن الفرنسيين لم يعترفوا لهم بحقوقهم في التمتع بكامل الحريات المدنية والسياسية، كمواطنين، إضافة إلى ذلك فإن الملامح الاضطهادية للحكم الفرنسي (قانون الاهالي كان أسوأها) مع فقدان وسائل التعبير قد جعلت الجزائريين يكتشفون بأن لا يمكنهم البقاء في وطنهم، وقد كانت الأحوال الاقتصادية سبباً آخر مهما للهجرة، ذلك أن الجزائريين كانوا يشكون منذ سنوات طويلة إلى السلطات الفرنسية من الضرائب الثقيلة، فقد كانوا يدفعون لا الضرائب القانونية فقط بل الضرائب الدينية، مثل الزكاة والعشور وضريبة السخرة، كالدراسة الليلية بدون أجر، وبالإضافة إلى ذلك فإن الجزائريين فقدوا أراضيهم بسبب الاستعمار الاستيطاني، وبقوا في أغلب الأحيان، عمالاً فلاحين، كما أن التوزيع غير المتكافئ، كما أن المساواة في توزيع فوائد الميزانية كان من بين المطالب الرئيسية التي طالب بها الجزائريون خلال الفترة، ومن بين الأسباب، أيضاً مراقبة المؤسسات الدينية ومصادرة الأوقاف وإدارة الشؤون الدينية من طرف فرنسا ومصادرة الأوقاف وبسط النفوذ على جميع الشؤون الإسلامية فاستمرار الإدارة الفرنسية التسلط على كل الأديان في الجزائر إلى سنة 1907 وإعلانها فصل الدين عن الدولة بنفس التاريخ وبينما سحبت سلطتها، وإعلانها فصل الدين عن الدولة بنفس التاريخ وبينما سحبت سلطتها عن

(1) _ المرجع نفسه، ص 76-77.

(2) _ حمدان قنان، قضايا ودراسات تاريخ الجزائر، الحديث والمعاصر. منشورات المتحف الوطني للمجاهد، دط، 1994، ص 129-130.

المسيحية واليهودية، احتفظت بها بشكل فعال بخصوص (الإسلام) يدعو أنه لانفصال بين الروحي والديني في الإسلام فالتمييز بين الأديان، الذي كان سنة 1907 بين الأجناس قد أثار السخط والغضب بين الجزائريين ذلك أنهم كانوا في الماضي يشعرون بعدم الأمن على أراضيهم وحرمتهم ولكنهم بعد سنة 1907 أصبحوا يشعرون بعدم الأمن على دينهم ومع الحديث الجوهري في المجلس الوطني الفرنسي عن التجنيد الإجباري والتجنيس، رأى بعض الجزائريين أنه لا مستقبل في بلادهم فذهبوا ينشدون ملجأ لهم في الخارج⁽¹⁾.

إذ شكل عدد المهاجرين الجزائريين بين سنتي 1900 إلى 1914 في فرنسا 10.000 مهاجر جزائري وحوالي نصف هذا العدد بين عامي 1914-1919.

فقد استفحلت ظاهرة الهجرة في الأوساط الجزائرية بعد أن اضطر كثير من الجزائريين إلى مغادرة وطنهم هروبا بمعتقداتهم وحفاظا على مقوماتهم الشخصية بحثا عن الحرية وتبعيا لتوفير لقمة العيش، بعد أن تعرضوا للاضطهاد والطردهم من أراضيهم والحرمان من ممتلكاتهم والخضوع لنظام إداري مرتبط بالإجراءات القمعية القاسية وفرض الضرائب الثقيلة، فتوجهت جموع المهاجرين أول الأمر للبلاد العربية الإسلامية نظرا للتراث الروحي والانتماء القومي ومع فرض قرار التجنيد الإجباري للجزائريين في قرار 3 فيفري 1912، أصبحت الهجرة ظاهرة عامة تأثرت بها خاصة تلمسان وقسنطينة وسطيف وبلاد القبائل وجهات الصحراء، وقد أخذت الهجرة شكل نزوح عام للأسر خصوصا في مدينة تلمسان التي غادرها سنة 1911 نحو 1200 أسرة نحو الغرب الأقصى وبعض أقطار المشرق⁽²⁾.

فقد خلفت الجماعات عشرات الآلاف من الأسر الجزائرية ومن ورائها الأطفال والأيتام الذين فقدوا أبويهم ويقو بدون مأوى أو مآكل فأصبحوا هائمين في القرى والمداشر والمدن بحثا عن الغذاء.

وقد استغلت هذه الجماعات من طرق الكنيسة المسيحية ورجال الدين لتنصير الأهالي، في الوقت الذي كانت تزدهر فيه أحوال الفرنسيين واليهود كانت أحوال المسلمين في حالة تدهور سواء في المدن أو الأرياف، فالتدخل الفرنسي اليهودي أدى إلى إفقار البرجوازية الجزائرية وإجبارها على الهجرة من المدن⁽³⁾.

فقد كان المجتمع الجزائري خلال عقد الخمسينات يواجه الأزمات الاقتصادية والاضطهاد السياسي معا⁽⁴⁾.

كما أصبح أغنياء الأمس فقراء عشية الاحتلال، يمدون أيديهم للمساعدة الفرنسية، ويتضرعون للدخيل ليجود عليهم بالرحمة والعطاء كما هو حال العديد من الأسر الجزائرية⁽⁵⁾.

وكان العامل الأساسي في وصول الشعب الجزائري إلى هته الحالة تحالف اليهود والمستعمرين مع فرنسا وكانوا يؤثرون في الحياة

(1) _ سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962، المرجع السابق، ص128

(2) _ ناصر الدين سعيدوني. الجزائر منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص40.87.

(3) _ بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930م. الجزائر : دار الهدى، دط، 2012م، ص29-30.

(4) _ سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية. لبنان: دار الغرب الإسلامي، ج1، 1992، ص376.

(5) _ المرجع نفسه، ص376.

السياسية والاقتصادية للجزائر بحكم كثرة علاقاتهم، وارتباطاتهم العائلية بأوروبا وأصبحوا هم من يحتكر التجارة المحلية (الأهلية) في التعامل مع الفرنسيين وعلى استعداد للاندماج معها⁽¹⁾.

3-التفكير والبطالة:

اتخذت سلطات الاحتلال من سياسة السلب والنهب والتفكير أداة دائمة بين يديها لإرهاق الشعب والحط من شأنه والنزول به إلى مرتبة الحيوان لولا عقيدته وثقافته التي حمته من هذا المصير المؤلم، ومع ذلك قد عانى الكثير في هذا المجال⁽²⁾.

لقد كان الجزائريون يعيشون من الزراعة وبسبب التوسع الاستعماري الذي استولى على أراضي الثوار 1871 واستفاد من قرار مجلس الشيوخ لسنة 1863 وقانون فاري 1873 وقانون 22 أبريل 1887 والقانون العقاري لـ 16 أبريل 1897 ليوسع ممتلكاته فوجد الفلاحون الذين انتزعت منهم أراضيهم تحت رحمة المرابين الذين كانوا يمارسون نسب فائدة من 20 إلى 200 بالمئة ويطلبون بعض الأراضي ضمانا وتبقى تلك الأراضي بين أيدي أصحابها ولكنها غالبا ما تصادر في حالة عدم تسديد الدين⁽³⁾.

إن أفضل مثال يضرب على السياسة الفرنسية الوحشية في حق الشعب الجزائري مجاعات عامي 1866 إلى 1868 حيث شهدت الجزائر خلال هذه السنوات الثلاث أكبر مجاعة في تاريخها حيث غادر الناس منازلهم والعشائر قراها فتشكلت مواكب طويلة على الطرقات بحثا عن الطعام، وأقبل الجياع على أكل العشب ولحاء الأشجار والقطط والحيوانات الميتة، ثم بعدها جاءت كارثة على الأهالي متمثلة في الجفاف عقب المجاعة وموت المواشي من جهة والتيفوس من جهة أخرى⁽⁴⁾.

ثالثا: الظروف الثقافية والدينية:

بالإضافة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية المزرية التي عاشتها الجزائر خلال الفترة 1847 إلى 1954، كانت هناك أوضاع ثقافية دينية مست أهم رموز الهوية الجزائرية العربية الإسلامية المتمثلة في اللغة العربية، التعليم العربي والدين الإسلامي وهو ما سنتطرق له هنا.

1-التعليم العربي واللغة العربية:

كان التعليم في الجزائر مزدهرا قبل الاحتلال الفرنسي وكان التعليم يعطى في المساجد التي كانت أمكنة للعبادة إلى جانب اعتبارها مراكز للتربية والتعليم وفي الزوايا التي كانت عادة تحت سلطة الجمعيات الدينية، وكان المعلمون يتقاضون من الأوقاف ولكن الفرنسيين قد استولوا على هذه الأوقاف، وهكذا جرد التعليم الجزائري من أهم موارده، وعملا على تدمير المؤسسات التعليمية واضطهاد اللغة الوطنية وهي لغة العربية التي اعتبرها الاحتلال الفرنسي لغة أجنبية ميتة لأن اللغة الفرنسية كانت قد أصبحت لغة الجزائر الرسمية منذ قرار الإلحاق سنة 1834⁽⁵⁾.

(1) _ سعد الله أبو القاسم. (1992). الحركة الوطنية الجزائرية. المرجع السابق، ص 374.

(2) _ حمدان قنان، قضايا ودراسات تاريخ الجزائر، الحديث والمعاصر. منشورات المتحف الوطني للمجاهد، دط، 1994، ص 117.

(3) _ محفوظ قداش. (جزائر الجزائريين، تر محمد المعراجي. منشورات وزارة المجاهدين، ط خاصة، د ت، ص 227-228.

(4) _ مصطفى حياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر. منشورات ANEP، 2013، ص 219-220.

(5) _ سعد الله أبو القاسم. (1992). الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، مرجع سابق، ص 61.

2-تحقيق الفرنسية: تحقيق فرنسة المجتمع الجزائري كان هدفا ووسيلة في نفس الوقت فهو وسيلة لضرب اللغة العربية وإضعافها والقضاء عليها، وهو هدف هام لتحقيق الاحتواء الحضاري وغسل العقول والأفكار، وتبديد القضاء الثقافي والمرجعية الثقافية للأمة الجزائرية⁽¹⁾.

فأراد المستعمر محو اللغة العربية بالجزائر وطمس الثقافة العربية الإسلامية لدى الجزائريين لكون هذه اللغة والثقافة تشكلاان أرضية لانتماء الشعب الجزائري الحضاري وتعتبران الوصيلتين الوحيدتين اللتين تمكناه من الوقوف في وجه هيمنة اللغة الفرنسية على الأجهزة الإدارية ودواليب الدولة...التعليم ووسائل الإعلام، لقد اتبع الفرنسيون في مسعاهم لطمس اللغة العربية بالجزائر أسلوبا متدرجا بدأ بغلق المدارس والمعاهد وتشريد المعلمين والطلبة في السنوات الأولى للاحتلال، ثم تدرج مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى منع تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية وعدم السماح لأي شخص أن يمارس تعليمها أو يتولى إدارة مدرسة للغة العربية أو كتاب لتحفيظ القرآن الكريم، إلا بترخيص خاص لا يمنع إلا في حالات استثنائية، كما نص على ذلك قانون أكتوبر 1894⁽²⁾.

3-سياسة التجهيل: لم تكن الأمية سائدة في الأوساط الجزائرية، قبل مصيبة الاحتلال سنة 1830 فكانت الكتابيب (3000) وكانت المساجد والزوايا تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها التنشئة العربية الدينية الصالحة، فالاستعمار قد حطم في أول ما حطم كل الكتابيب القرآنية، وألغى وحجر التعليم في المساجد التي دمر وهدم أكثرها، ثم هو لم يعوض ذلك بشيء آخر، لأنه يعلم أن الأمة إن علمت قاومت الاستعمار، ولم ترسخ لقيوده وسعت السعي الحثيث للتخلص منه، فسياسة "التجهيل" كانت إلى جانب سياسة "التفكير" شعار الإستعمار الفرنسي في قطر الجزائر، والقانون الذي سار عليه، منذ يومه الأول إلى يوم قيام الثورة الكبرى التي ستبدل بها الأرض غير الأرض، بمشيئة الله وإرادة الشعب⁽³⁾.

حيث عملت الإدارة الاستعمارية على تجهيل الأهالي فهدمت معظم المدارس وأغلقت الكثير، وراقبت الباقي، وقاومت التحاق الأطفال الجزائريين بمؤسسات التعليم الفرنسية وفي عام 1870 كان هناك 36 مدرسة ابتدائية عربية فرنسية و1300 تلميذا، ومعهدان عربيان فرنسيان، وثلاث مدارس دينية إسلامية، وعملت الجمهورية الثالثة لجول فيري ان يوس 15 مدرس وزاوية تمول باريس ثلاثة أرباعها، وفي عام 1833 طبق التشريع المدرسي الفرنسي الجديد في الجزائر، فاستاء المستوطنون وشيوخ البلديات من ذلك وأعلنوا رفضهم لبناء مدراس لما سموه "جماهير الصعاليك" من الاهالي وتعللوا بهيضة التكاليف وسعي الاهالي المتعلمين بعد ذلك لتحقيق الجزائر العربية⁽⁴⁾.

فليس من الغريب أن يكون التعليم في وضع سيء في الجزائر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فذلك نتيجة لسنوات طويلة من الاضطهاد والقمع، فقد سيطرت فرنسا على الأوقاف في الجزائر، وهدمت بعض المساجد لأسباب مختلفة، وحولت البعض الآخر

(1) _ مراد مزغاش، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر 1931-1954م. الجزائر، د ط: دار الهدى، 2018، ص417.

(2) _ ناصر الدين سعيدوني. الجزائر منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص73.

(3) _ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر. الجزائر: عالم المعرفة، 2010، ص116-117.

(4) _ يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954. ، مرجع سابق، ص43.

إلى كنائس، فالأوقاف كانت تقدم الدعم المادي، والمساجد تقدم المعلمين والمكان للتعليم، وقد حرصت فرنسا على نشر الجهل بين الجزائريين ولم تخصص إلا الأموال الضئيلة جدا لتعليم الجزائريين مقابل ما أنفقت على تعليم المستوطنين، ولم يقف التحهيل عند هذا الحد بل تعداه إلى التدخل في مناهج التعليم وطرقه⁽¹⁾.

لقد أدرك الاستعمار الفرنسي خطورة التعليم على مصالحه في الجزائر وتهديده لبقائها، فقد وضعت إدارة الاستعمار الفرنسي استراتيجية خبيثة للقضاء على التعليم، فقد كتب الجنرال (دوكرو) عام 1864م تقرير إلى (نابليون الثالث) أسماء "تقرير حول الوسائل التي يجب استعمالها من أجل فرض السلام في الجزائر، يقول في تقريره هذا: «يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا (الإيجابية) كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا... وبعبارة أخرى يجب أن يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا...» وبهذا يكون هذا الجنرال قد شرح معنى السلام الذي يريد فرضه في الجزائر!!!⁽²⁾.

لقد كانت فرنسا تدبر علنا وفي الخفاء بكل ما أوتيت من قوة لإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، وإعادة صقل اللسان الجزائري على غير طبيعته التي خلق عليها وتوارثها جيل عن جيل منذ أنعم الله على البلاد المغربية برسالة الإسلام، الذي أنزل الله جل في علاه معجزاته القرآن بلسان عربي مبين، حتى كادت اللغة العربية تندثر في الجزائر وكان العصب الحساس الذي أرادت فرنسا أن تقطعه⁽³⁾.

4-الصعيد الديني: العقدي والأخلاقي:

يعتبر الدين الإسلامي هو الحصن الحصين لهذه الأمة من الضياع والذوبان في الأمم الأخرى؛ حيث شكل التمسك بالدين الإسلامي إبان الاحتلال الفرنسي مصدر قوة في الصمود ضد العدو خاصة بعض العلماء والمثقفين الجزائريين والوقوف ضد الاستعمار الذي كان هدفه القضاء على هذا الدين ومسحه بمختلف الطرق، أو إخراج المسلم الجزائري عن دينه ولو بقي دون دين، فاستهدفت أول ما استهدفت الحصن في المجتمع الجزائري الدين الإسلامي محاولة إفراغ هذا الشعب من محتواه وطمس أحد أهم معالم الهوية العربية الجزائرية، وراحت تدمر المؤسسات الدينية من مساجد، وزوايا وما لم تدمره حولته إلى كنائس واصطبلات. وإذا كانت الخدمة العسكرية قد ولدت الهجرة إلى الشرق فرارا من الجحيم، تم العودة إلى الميدان بسلاح أقوى فإن الانحراف الديني ولد هو الآخر عند ذوي البصائر الحية والأبصار النافذة إلى المستقبل البعيد، شعورا بالحاجة الملحة إلى إصلاح ديني⁽⁴⁾.

فكان مآل المؤسسات التعليمية والدينية حينئذ، هو الضم إلى أملاك الدولة والتخريب، بدعوى السقوط أو التحويل إلى كنائس ومصحات أو توسع الساحات العامة أما الزوايا التي كانت معظم نشاطها في الأرياف فقد تعطلت نتيجة الحروب⁽⁵⁾.

وقد اعتدى الاستعمار الفرنسي على الدين الإسلامي، وهو دين الأغلبية الساحقة من سكان الجزائر فصادر أملاك الحبوس، وتحويل

(1) _ مازن صلاح حامد مطبقاتي، جميعه العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية . الجزائر: مؤسسة عالم الأفكار، 2011، ص52.

(2) _ البشير قلاقي، دور علماء الإصلاح الإسلامي في ثورة التحرير الكبرى. مجلة المعيار، العدد 4، 2003، ص216.

(3) _ بوقاعدة البشير، البعد التاريخي لشعار جمعية العلماء المسلمين . مجلة دراسات تاريخية، ع4، 2016، ص110.

(4) _ صالح خريفي، عمر بن قذو الجزائري . الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، ص1984، ص29.

(5) _ سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962، مرجع سابق، ص82.

المساجد إلى كنائس وهدم مئات المساجد، التدخل في تعيين أئمة وخطباء المساجد، وفرضت رقابة على الخطب، الإشراف على الحج، أغلقت معظم المحاكم الإسلامية في قسنطينة ووهران ومنطقة القبائل وإقامة محاكم أخرى تحت إشرافها المباشر⁽¹⁾. كما سيطر الاستعمار الفرنسي على القضاء الإسلامي والإمامة وعمل على إفراغ القضاء الإسلامي من صلاحياته، ويعترف لوي ما سنيون بذلك فيقول: "إن الواقع الذي يطبق في الجزائر هو أولاً اعتداء على الشريعة الإسلامية، وثانياً إجراءات تعسفية غير خاضعة حتى للقانون الفرنسي"، واستمر الفرنسيون في تفرغ القضاء الإسلامي من صلاحيته، وما إن حل آخر القرن التاسع عشر حتى لم يبق له سوى عملية تسجيل الزواج والطلاق، ولقد استخدمت فرنسا سلاح العدالة لقمع الجزائريين عن طريق تطبيق القوانين الفرنسية عليهم وتشكيل مجالس القضاء من الفرنسيين فقط، وحرمان آلاف الجزائريين من كسب العيش والحياة بأمن في ظل شريعة الإسلام العادلة.

إضافة إلى ذلك عملت فرنسا على إفراغ الدين الإسلامي من محتواه، من خلال اضطهاد العلماء، إزالة المساجد، ومنع الحلقات ودروس تكوين العلماء ودروس الوعظ، ويؤكد ذلك ماسنيون بقوله لقد استعمرت الحكومة الفرنسية للعقيدة الإسلامية بالجزائر 1830م، وكانوا يختارون المفتين والأئمة في معظم الحالات من أشباه الأميين⁽²⁾.

5-التنصير: من بين القواعد التي أقامت عليها فرنسا سياستها في احتلالها للجزائر سياسة التنصير مستهدفة بذلك إخراج المسلمين عن دينهم وحيث عملت أجهزة الاستعمار على تسيح الجزائريين وتأسيس كنيسة جزائرية كان أنطوان دوبوش أو أسقف فرنسي تولي الأسقفية في الجزائر سنة 1838، وعمل من أجل استعادة الكنيسة الإفريقية والمسيحية كما كانت قبل الإسلام مثلما يزعم، وهو الذي حول جامع كتشاوة إلى كاتدرائية الجزائر وأعطاه اسم كنيسة سان فيليب، وعندما مات سنة 1864 دفن بها، فخلفه على رأس الأسقفية لافيحري، الذي سيطر على عملية التمسح من 1867 وحتى سنة 1892 ضمن خطة شاملة استهدفت إدماج الجزائريين في الشخصية الفرنسية عن طريق التمسح والفرنسة⁽³⁾.

لقد سعى المنصرون أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى تمسح الوسط قبل تمسح الروح، وقد تم ذلك عن طريق الحو الكلي أو الجزئي للمظاهر الدينية الإسلامية في المجتمع الجزائري، إضافة إلى بناء الكنائس والأسقفيات التي تعمل على نشر التعاليم المسيحية ويمكن إجمال عملهم في ما يلي:

أولاً: تمسح العمران: وقد تم ذلك بمحاولة نحو الطابع الإسلامي المميز للمدن خاصة مدينة الجزائر.

ثانياً: تمسح المؤسسات الدينية والتضييق على الأئمة وعلماء الدين لقد أقدم جيش الاحتلال منذ الوهلة الأولى على تمسح المؤسسات الدينية مثل المساجد والزوايا أو على تدميرها أو تحويلها إلى أغراض أخرى، وإذا أردنا حصر مظاهر التنصير في هذا

(1) _ عبد الرحمان عواطف. (1985). الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1985، ص17.

(2) _ علي محمد الصلابي. (2015). كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر الجزائري. القاهرة: دار الصحوة، ط1، 2015، ص701-702.

(3) _ عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954، مرجع سابق، ص637.

المجال، فيمكن إجمالها في مايلي:

- غلق الزوايا بحجة أنها المحرضة على الثورة..

- إخضاع القضاء الإسلامي للقضاء الفرنسي وقد تم ذلك بعد قرار أكتوبر سنة 1830 في عهد الجنرال كلوزيل.

- نفي علماء الدين، وإبطال شرعية يوم الجمعة باسم فرنسا.

- إضافة إلى مصادرة الأوقاف وقد كان الهدف من ذلك هو قطع الموارد المالية على المؤسسات الدينية وأيضاً تحطيم اقتصاد البلاد،

حيث سعى الاحتلال إلى تحويله من الحبوب إلى الخمر وتجريد الناس من أملاكهم ليسهل عليه تنصيرهم⁽¹⁾.

لقد استغل المنصرون الأوضاع المتدهورة للشعب الجزائري لتحقيق مشروعهم التنصيري بالجزائر.

وأمام الوضع المتدهور، وأمام عجز الحكومة استقل الكاردينال لافيغري الذي لعب دوراً بارزاً في التنصير مستغلاً ظروف الجامعة عام

1869.

6- انتشار البدع والخرافات:

لقد عمل الاستعمار الفرنسي على خلق فئة من المجتمع الجزائري مدعومة من طرفه من بينها بعض شيوخ الزوايا الطرقية التي عملت على إفساد المجتمع الجزائري وتخديره ونشر البدع والخرافات في أوساطه حتى يقتنع هذا الشعب بأن الاستعمار قضاء وقدر ويستسلم للأمر الواقع.

لقد استعمل الاستعمار طبقة من شيوخ وعلماء الزوايا واستطاع أن يؤلف منه سدنة الدين الإسلامي في الجزائر، وينصبهم أوصياء على مساجده وكراسي الإفتاء فيها، وكان هذا التحالف الخطير بين المستعمر وبين الانحراف الديني بوجهين الوظيفي والطرفي يخلق في البلاد جواً من الاستقرار ظاهره فيه الرحمة، وباطنه من قبله العذاب⁽²⁾.

لقد سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، سيطرة مذهلة، فبلغ عدد الزوايا في الجزائر 349 زاوية وعدد المريدين أو الإخوان 29500 مريداً والفقهاء الذين عرفوا بمعارضتهم الصوفية أصبحوا بدورهم "طرقيين" فساد الظلام، وخيم الجمود وكثرت البدع، واستسلم الناس للقدر، وأصبحوا إذا سئل أحدهم عن حاله أجاب "نأكل القوت ونستنى في الموت" وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر وشل جميع الطاقات الاجتماعية الأخرى⁽³⁾.

رابعاً: ظهور الصحافة العربية في الجزائر:

بعد استعراضنا لأهم الظروف العامة التي أدت إلى ظهور الصحافة العربية في الجزائر، سنتطرق الآن إلى المراحل التي مرت بها هذه الصحافة في الفترة الممتدة ما بين 1847 إلى 1954، فرغم تلك الأوضاع المزرية التي مرت بها الجزائر إلا أن الجزائريين لم يفشلوا وما زاد من قوتهم تلك المضايقات في البحث عن سبل مقاومة جديدة بدأت بإرسال الوفود والعرائض وإنشاء الجمعيات والنوادي، إلى إصدار الصحف وفي ظل هذه القوانين الزجرية، ولذلك يمكن القول إن الجزائريين لم يكونوا غافلين عن أهمية الصحافة ولكنهم

(1) _ عمرواي أحمد، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916. الجزائر، د ط: دار الهدى، د.ت، ص 105-106.

(2) _ صالح خري، عمر بن قردو الجزائري، مرجع سابق، ص 26-27.

(3) _ عمار طالي، آثار ابن باديس. الجزائر: الشركة الوطنية، ط1، مجلد1، 1968، ص 18.

كانوا عاجزين عن إنشاءها خاصة من الناحية المادية كما أنهم لم يكونوا متعودين على فنيات الصحافة اللهم إلا ذلك العديد القليل الذي تعامل مع جريدة المبشر والذي كان معظمه قد تولى وظائف رسمية أخرى، مثل أبي القاسم الحفناوي ومحمد بن مصطفى بن خوجة، كما أن إنشاء صحيفة كان يتطلب الدخول في عالم المعاملات مع الإدارة ومع الصحف الأخرى والحسابات والمراسلات ومعرفة القوانين الجارية، وهذا لم يكن متيسرا عندئذ للجزائريين ولذلك تعثرت المحاولات الأولى لم غامر بها مثل عمر راسم وعمر بن قدور ونجحت إلى حد ما بعض الصحف الفرنسية الجزائرية مثل الإسلام (والرشيدي) صاحبها باللغة الفرنسية⁽¹⁾.

لقد كان لنشاط الصحافة الأوروبية لسان حال المستعمرين في الجزائر أثر ولا شك في توجيه الجزائريين إلى الميدان الصحفي، إذ كانت تلك الصحف الاستعمارية تتدفق تدفقا عجيبا و تنتشر انتشارا واسعا يكفي أن نعرف أنها بلغت في تعدادها أثناء هذه المدة (1847-1939) ما يزيد عن مائة وخمسين ما بين دورية ويومية (فقد لفت أنظار المسلمين الجزائريين ما رأوه من هذه الحركة الواسعة التي غطت القطر كله شرقه وغربه، وأثار تعجبهم اللهجة الحارة التي تستعملها بعض صحف المعمرين في مخاطبة السلطة الحاكمة مطالبة أو مدافعة فعلمهم ذلك أن يستفيدوا من هذه التجربة ودفع بهم إلى استعمال هذه الوسيلة الجديدة في المطالبة بحقوقهم الآخرون⁽²⁾.

فكانت انطلاقة الصحافة الأهلية كما سميت خاصة قبل الحرب العالمية الأولى وفي أواخر القرن التاسع عشر خاصة بعد صدور قانون حرية الصحافة 1881 والذي فتح المجال نوعا للصحافة الفرنسية لتبرير النقد لبعض ممارسات الاحتلال الفرنسي كما شكل متنفسا للنخبة المثقفة خاصة بعد مراكمة الخبرة في الصحف الفرنسية وصحف أحباب الأهالي، كما رامت زيارة بعض الوفود البرلمانية إلى الجزائر وتعاطفهم مع بعض مطالب الأهالي في تحفيز بعض النخب بالانخراط في العمل الإسلامي النضالي المقاوم، وخاصة بعد زيارة محمد عبده إلى الجزائر عام 1903 والتقاءه ببعض العلماء، كنت نقطة تحول في تبني النهضة الفكرية والثقافية كعامل قصدي للاحتلال الفرنسي، فبالرغم من أن معظم صحف الأهالي كان ضعيفا اللغة وكثير الأخطاء إلى أن ظهرت صحافة جمعية العلماء. فإن النشاط الفردي المقاوم لأصحابها مثل: بوضربة، الحاج عمار، الصادق دندن، مر بن قدور، عمر راسم، والأمير خالد كان له دور كمي في بعض صحافة الأهالي قبل الحرب العالمية الأولى وفي التحول الذي عرفته صحافتهم لاحقا وقد عمل معظمها في الدفاع عن حقوق الجزائريين الثقافية والاجتماعية دون التشكيك علنا في فرنسية الجزائر، لأنه كان شرطا أساسيا للسماح بصدور مختلف الصحف⁽³⁾.

-الصحافة العربية الإصلاحية بعد الحرب العالمية الأولى:

عرفت النشاط (الإعلامي) (الصحافة المكتوبة) بعد الحرب العالمية نشاطا ملحوظا خاصة بعد صدور قانون 4 فيفري 1919 الذي حول بعض الحرية النسبية للأهالي، سارع الجزائريون الذين اكتسبتهم سنوات الحرب تجربة جديدة، وتفتحت أعينهم على واقعهم

(1) _ سعد الله أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي. لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ج5، ص242.

(2) _ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، الجزائر: ألفا ديزاين، ط1، 1980، ص9.

(3) _ حجاج الجمعي، الصحافة والنخبة المثقفة في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي... المقاومة الثقافية للترسانة الحربية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دولية محكمة، ع15، د.ت، ص147.

الاستعماري الرهيب سارعوا إلى استخدام الصحافة العربية كوسيلة من وسائل النهوض والبعث القومي⁽¹⁾. فقد زادتهم الحرب العالمية تمردا واطلاعا على مجريات الأمور السياسية، لذلك نشأت بعد الحرب صحف ذات طابع نالي في أغلبه، وفي هذه المرحلة وضعت السلطات الاستعمارية رقابة شديدة على الصحافة الجزائرية بحيث بدأت تفرق بين الصحافة المكتوبة بالعربية والصحافة المكتوبة بالفرنسية فيما يخص الصحافة المكتوبة بالعربية كانت السلطات الاستعمارية تعتبرها اجنبية طبقا للمادة 14 من قانون حرية الصحافة الصادر سنة 1881 وهذه المادة تسمح للسلطة الإدارية باتخاذ جميع الإجراءات الضرورية ضد الصحافة الأجنبية بدون إحالتها مسبقا أمام المحاكم الشرعية كما هو الشأن بالنسبة للصحافة الفرنسية، كما تفرضه حرية الصحافة والتعبير، وعلى هذا الأساس كانت السلطات الاستعمارية تمنع النشاط الصحفي بالعربية بمجرد قرار يوافق عليه من بعد وزير الداخلية⁽²⁾. وبظهور والجمعيات في هذه الفترة وتبلورت المواقف وأصبح لكل حزب أو جمعية أو تيار جرائده، وظلت لغة الجرائد عربية أو فرنسية، وقل منها المزدوج وكانت الصحافة المكتوبة بالعربية تعاني اضطهادا خاصا خلال هذه المرحلة سيما التي تبنت قضايا وطنية واضحة⁽³⁾.

وتميزت الفترة ما بين 1919-1954 بانتشار الصحافة الإصلاحية؛ حيث تضافت الجهود لبعث صحافة جزائرية مقاومة ثقافيا وسياسيا وبلهجة أشد وأكثر صراحة من سابقتها (في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى، لقد بلغت الصحافة الإصلاحية مرحلة متميزة عن باقي المراحل خاصة ما بين 1919-1937 أين كان قوامها دعامتين: العمل الجماعي للجمعيات الإصلاحية بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والعمل الفردي لمصلحين جزائريين من علماء وشيوخ ومثقفين. وهذا بالإضافة إلى الصحف التي عادت إلى الصدور بعد سنة 1939 بعد الحرب العالمية الثانية، كالبصائر⁽⁴⁾.

ولم تسلم الصحافة العربية الإصلاحية من المضايقات الاستعمارية فكانت تقف منها موقفا متحيزا لا يستند إلى قانون ولا يعتمد على أي تعليل، يكفي أن يشتم في الجريدة نزعة وطنية أو إصلاحية حتى تبادر السلطة إلى مصادرتها⁽⁵⁾.

خاتمة:

من خلال ما سبق توصلنا إلى أن الصحافة العربية الإصلاحية في الجزائر واجهت قبل ظهورها ظروفًا صعبة حالت دون ظهورها مبكرا على الساحة الإعلامية الجزائرية، ومن بين هذه الظروف نجد الظروف السياسية المتمثلة في القوانين الجزرية للسياسة الاستعمارية الوحشية الفرنسية التي حدثت من تمتع الجزائريين بحقوقهم المشروعة في بلدهم الجزائر، إضافة إلى الظروف الاجتماعية القاهرة المتمثلة في الفقر، الأمية، الهجرة انتشار الآفات الاجتماعية وغيرها.. والتي استهدفت القضاء على الجزائريين وجعل الجزائر أرضا فرنسية، إضافة إلى الأوضاع الثقافية والدينية المزرية التي استهدفت القضاء على معالم الشخصية العربية الجزائرية المسلمة، من دين إسلامي ولغة وتاريخ، بغية تحقيق الاستيطان الدائم للمستعمر الفرنسي، غير أن الواقع كان غير ذلك حيث اصطدم المستعمر بموجة إصدار للصحف استطاعت قلب الموازين لصالح الشعب

(1) _ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، مرجع سابق، ص15.

(2) _ زهير احدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية، دم، د ط، 2012، ص35-36.

(3) _ سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص250.

(4) _ فضيل دليو، تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013، الجزائر: دار هومة، ط1، 2014، ص75-76.

(5) _ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، مرجع سابق، ص14.

الجزائري وتخليصه من واقعه البائس، من خلال حركة إصدار الصحف العربية الإصلاحية.

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، الجزائر: عالم المعرفة، 2010.
2. البشير قلاقي، دور علماء الإصلاح الإسلامي في ثورة التحرير الكبرى، مجلة المعيار، العدد الرابع، 2003.
3. بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930م، الجزائر: دار الهدى، دط، 2012م.
4. بوقاعدة البشير، البعد التاريخي لشعار جمعية العلماء المسلمين، مجلة دراسات تاريخية، ع4، 2016م.
5. حجاج الجمعي، الصحافة والنخبة المثقفة في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي... المقاومة الثقافية للترسانة الحربية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلة دولية محكمة، ع15، دت.
6. حمدان قنان، قضايا ودراسات تاريخ الجزائر، الحديث والمعاصر. منشورات المتحف الوطني للمجاهد، دط، 1994
7. رايح لويس، تاريخ الجزائر 1820-1989م. الجزائر، ج1: دار المعرفة، 2010.
8. زهير احداث، الصحافة المكتوبة في الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية، دم، دط، 2012.
9. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ج1، 1992.
10. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط1، ج5، 1998.
11. سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962، دار الغرب الجزائري، ط1، 2007.
12. صالح خريفي، عمر بن قديو الجزائري، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1984.
13. عبد الرحمان عواطف، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1985.
14. عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2014.
15. عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1954. الجزائر: دار الأمة، 2011.
16. علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر الجزائري. القاهرة: دار الصحوة، ط1، 2015.
17. عمار طالي، آثار ابن باديس. الجزائر: الشركة الوطنية، ط1، مجلد1، 1968.
18. عمراوي احميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، الجزائر، دط: دار الهدى، دت.
19. فضيل دليو، تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013، الجزائر: دار هومة، ط1، 2014.
20. مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية. الجزائر: مؤسسة عالم الأفكار، 2011.
21. محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تر محمد المعراجي. منشورات وزارة المجاهدين، ط خاصة، دت.
22. محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، الجزائر: ألفا ديزاين، ط1، 1980.
23. مراد مزغاش، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر 1931-1954م. الجزائر، دط: دار الهدى، 2018.
24. مصطفى حياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر. منشورات ANEP، 2013.
25. ناصر الدين سعديوني، الجزائر منطلقات وآفاق. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000.
26. يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2007.